تيسير

علم مصطلح الحديث

الجزء الأول

لفضيلة الشيخ

محمّد سعيد رسلان

[شريط مفرغ]✍

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد

فالذي ينظر في كتاب الله تبارك وتعالى وفي صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجد أن الضوابط التي استخلصها العلماء بعد ذلك من كتاب الله ومن سنّة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لضبط قواعد الرواية ونقل الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن أجل التثبّت من صحة الأخبار ومن تزييف زيفها ونفي دخيلها عنها نجد أن ذلك واضح غاية الوضوح في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فالأركان والأسس الرئيسة الأساسية لعلم الرواية ونقل الأخبار موجودة في الكتاب العزيز وفي سنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الله تبارك وتعالى في القرآن العزيز يقول لنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6] فأمرنا الله رب العالمين بالتبيّن في الأخبار وعند نقلها وعند روايتها, فعلى الإنسان أن يتحرى عند النقل وعند السماع وأن يستوثق من الخبر قبل أن يبني عليه حكما,

بهذا أمر الله رب العالمين في هذه الآية المكرّمة وجاء في السنّة النبوية المطهّرة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قوله:" نضّر الله امْرَءًا" يعني يدعو له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالنضرة وهي البهاء والحسن والنور في الوجه ولذلك تجد المحدّثين أكثر الناس حظّا من هذا الدعاء النبوي الشريف لأنّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول:" نضّر الله امْرَءًا سمع منّا شيئا فبلّغه كما سمعه فرب مُبلّغٍ أوعَى من سامع ", يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: " سمع منا شيئا فبلّغه كما سمعه", "فبلّغه كما سمعه".

الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يشترط عند البلاغ وعند نقل الخبر أن تنقل الخبر كما سمعته فيقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبلّغه كما سمعه فرُبَّ مُبَلّغٍ يعني يصل إليه الخبر الذي تبلّغه إياه أوعى, أفهم وأحفظ وأنقى عقلا وفكرا من سامع يعني من الذي يسمع الحديث ويكتفي بحفظه وروايته, فهو ينقله بعد ذلك إلى من يستطيع أن يستنبط منه الأخبار والأحكام التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي رواية" فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه وربّ حامل فقه ليس بفقيه " ربّ حامل فقه يحفظ الأحكام وليس بفقيه النفس وليس بفقيه العقل, يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"وربّ حامل فقه ليس بفقيه ".

إذا الحاصل أن الكتاب والسنّة قد دلاّ جميعا على وجوب التثبّت عند نقل الأخبار وهذا ما أخذ به العلماء بعد ذلك عندما وضعوا قوانين تضبط الرّوايات وتحفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يختلط بها غيرها وبخاصّة أن الفترة الأولى التي عاصر فيها الصّحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في جملتها بعيدة عن التدوين الكامل لسنّة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم, صحيح كان هناك تدوين للسنّة فالصحيفة الصادقة لعبد الله ابن عمر ابن العاص رضي الله عنهما ومثل ما كان يصنعه بعض الأصحاب رضوان الله عليهم عندما كانوا يكتبون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد أذن هو بذلك عندما قالت قريش لعبد الله ابن عمر ابن العاص: إنك تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل شيء يقوله ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشر يرضى ويغضب فذهب عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما إلى النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره بما قالت قريش فقال له النبيّ صلى الله عليه

وعلى آله وسلم وأشار بأصبعه إلى فيه فقال:"أكتب أكتب يا ابن عمر فوالذّي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا الحق" صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الفترة الأولى قبل مرحلة التدوين كانت فترة شَفَاهِيّة, كانت فترة تعتمد بقدر الله تبارك وتعالى على الذّاكرة وأنت تعلم أن الذّواكر عند العرب في تلك الفترة كانت قويّة جدّا لأن الله تبارك وتعالى هيّأهم لتحمّل دينه ومن أجل أن يحفظوا كتابه وسنّة نبيّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعدّهم إعدادا خاصّا بحيث كانوا لا يسمعون شيئا فيتفلّت منهم محفوظه أبدا, في النادر أن يتفلّت المحفوظ من واحد منهم ولكن في جملتهم, حتى في الجاهليّة كان العرب كذلك. كان الواحد منهم يسمع –في موسم من مواسم العرب– يسمع خطبة طويلة من خطب أولئك الخطباء المشهورين في موسم كعكاض وفي سوق كذي المجنّة أو غير ذلك من الأسواق التي كانت تعقبها العرب, يحفظ خطبة طويلة يسمعها لمرة واحدة فترتسم منقوشة على صفحة عقله وفكره وقلبه, فهل تضنّ أنّ أولئك الذين كان الواحد يسمع قصيدة يرتجلها شاعر كعمر ابن كلثوم وهو يقف بين يدي الملك يُنشد تلك القصيدة المعلّقة الطويلة الرائعة ينشدها مرتجلا إيّاها يعتمد على رمحه ومن شدّة انفعاله يضغط على الرمح حتى نفذ من يده يتفجر الدم منها وهو لا يحسّ ولا يشعر حتى فرغ من تلك القصيدة, هل تضنّ أنهم كانوا يحفظون هذا الشعر الجاهليّ على ما فيه ولا يحفظون كلام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على عظم ما فيه وروعة ما فيه؟ هذا لا يعقل.

إذا في الفترة الأولى التي كانت مبنيّة على الذّاكرة قدّر الله رب العالمين لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كان يتتبع أقواله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تتبعا كاملا يحفظ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمعونة من الله ربّ العالمين, فأبو هريرة –وكان كما تعلم رضوان الله عليه من اليمن– هاجر إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المدينة النبوية ومكث مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاثة أعوام لا تزيد ومع ذلك أبو هريرة أكثر الأصحاب رواية عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم, كان فقيرا من أهل الصُفّة لا يملك شيئا فكان يمضّي وقته في الصفّة في آخر المسجد النبويّ, وفيها ينزل الأغراب وينزل أولئك الذين لا يملكون قوت يومهم بل لا يملكون إلا ما يواري عوراتهم فكانوا يجلسون في تلك الصفّة فكان منهم

أبو هريرة رضوان الله عليه يقول: كنت أصحب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ملء بطني فكان يتبع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الثلاثة أعوام التي مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أن توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه ليس له في الدنيا قطّ حتى إنه كان يأخذه الجوع أحيانا فيصرع بجوار أصل منبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول الناس جُنَّ أبو هريرة يقول وما بي من جنون ما بي إلا الجوع, رضوان الله عليه يقول وكنت أسير مع الرجل أستقرأه الآية من كتاب الله وهي معي, وهي معي رجاء أن يمر بي على بيته فيدعوني فأدخل, وهي معي يقول أنا أستقرأ الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الآية وهي معي أحفظها ولكن أقول له تحفظ آية كذا؟ فيقول نعم فيقول رددها عليّ حتى آخذها منك وأحملها عنك ويمشي معه لعله أن ينقلب معه إلى بيته فيُطعمه, لا يجد شيئا, وضلّ مع النبي صلى الله عليه وسلم, شكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بدأ الأمر أنه يتفلّت منه محفوظه.

اعلم أنّ العلم منحة وهبة من الله وأن الإنسان ما عليه في طريق العلم إلاّ أن يطهّر قلبه وأن يعرّض للرحمة ذاته, وأما أن تُعطى أو لا تُعطى فهذا عطاء ربك ولا حرج على عطائه, يعطي من يشاء ويحرم من يشاء وهو العليم الخبير. فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يتفلت مني العلم ولا أستطيع أن أحفظ من كلامك إلا النذر اليسير فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أبسط رداءك فبسط رداءه على الأرض قال اقبضه إليك فقبض الرداء إليه قال فلم أنس بعد ذلك شيئا رضوان الله عليه. فالمهم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سنّته الشريفة هذا المبدأ وهو مبدأ التثبّت في أخذ الأخبار وكذلك في سنّة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قواعد وكيفيّات ضبط السنّة و ضبط الخبر عند نقله, وهذا أمر مهم جدا وما آفة الأخبار إلاّ رُوّاتها. وهذا علم خصّنا الله ربّ العالمين به ليس لأحد في الدنيا كلها مثل هذا العلم ليس إلاّ لنا وحدنا نحن المسلمين, خصّنا الله رب العالمين بعلم الإسناد, فالإسناد خِصِّيصَةٌ من خصائص أمّة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم وأما أهل الديانات السّابقة وأما الأقوام من غير أمّة محمد صلى الله عليه وسلم فحتى كتبهم المقدسة ليس لها إسناد متصل بأنبيائهم وإنما بين أنبيائهم في سلسلة الإسناد وبين الكتب التي يزعمون أنّ أنبيائهم قد جاءوا بها, بين الأنبياء و الكتب مَفَاوِزْ تتقطع فيها أعناق الإبل.

وأما نحن, فنحن وحدنا بفضل الله رب العالمين خصّنا ربنا تبارك وتعالى بالإسناد وليس لأحد في الدنيا كلها إسناد أعلى من إسنادنا لأنّ إسنادنا يتصل بربّ العزّة جلّ وعلا فالذي يحمل القرآن عن شيخ وشيخه له سلسلة يحمله عن شيخ فمشايخي ومشائخي كتاتيب القدامى كانوا يحملون عن شيوخهم بإسناد متصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العزّة, فإذا حملت القرآن عن شيخ له إسناد متصل فسندك موصول بربّ العزّة فمن في الدنيا كلها له إسناد متصل بربّ العزّة إلا أمّة محمد ؟ صلى الله عليه وعلى آله وسلم, فخصّنا الله ربّ العالمين بهذه القواعد وهي قواعد في جملتها عقلية يعني هذه القواعد التي تحكم وتضبط المرويّاة وتحكم نقل الأخبار من الأجيال إلى الأجيال ومن الرُّوَاة إلى الرُّوَاة لو عرضتها على العقل فهي منضبطة بالمنطق وبالعقل لا تخرج عن المنطق ولا على العقل قيد شعرة ولا مقدار أنملة وهذا من فضل الله ربّ العالمين.

وامتثالا لأمر الله جلّ وعلا في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6] وامتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الصّحابة يتثبّتون في نقل الأخبار وقَبُولِها حتى عمر رضوان الله عليه كان يتثبّت في نقل الأخبار من الأصحاب الذين لا مغمز فيهم ولا يستطيع أحد أن يزعم أنّ واحدا منهم يمكن أن يزيد ولو حرفا واحدا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعندما جاء إليه أبو موسى الأشعري يستأذن عليه فاستأذن مرّة ومرّة ومرّة فلما لم يجب عمر انطلق أبو موسى رضوان الله عليه فخرج عمر فدعاه فقال ما حملك على أن مضيت؟ قال استأذنت ثلاثا فلم تجب والاستئذان ثلاث كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقول كما قال رسول الله إذا هذا ترفعه إلى النبي يعني أنت الآن تسند هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لتأتينّي بشاهد يشهد على هذا الكلام أنّه قاله رسول الله وإلاّ لأوجعنّ ظهرك ضربا ومضى أبو موسى كئيبا ليس في وجهه دم فذهب إلى مجلس من مجالس الأنصار فقالوا مالك قال حدث مني كذا وكذا وكان من عمر كذا وكذا قالوا والله لا يقوم معك إلا أصغرنا قم يا أبا سعيد كلنا سمعنا هذا من رسول الله وكلنا نعلم أنّ من السنّة أن نستأذن على الرجل في بيته ثلاث مرات مسمعات فإذا لم يأذن لنا فلنرجع نرجع حتى لو أنه قال ارجعوا فارجعوا كما قال الله ربّ العالمين, فعمر رضوان الله عليه يتوعّد أبا موسى الأشعري وهو من هو رضوان الله

عليه يتوعّده بإيجاع ظهره ضربا إن لم يأت بشاهد يشهد على أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ما قال.

يتثبّتون في الأخبار وكذلك شأن المؤمن المسلم لابد أن يتثبّت في الأخبار وبخاصّة إذا كان الذي ينقل إليك الخبر فاسقا يعني لا يراعي الله تبارك وتعالى ولا يرقبه وهو خارج على أمر الله ربّ العالمين أو كان يروي بالمعنى يعني ذاكرته متفلّتة فهو يأت إليك فيقول: يقول لك فلان كذا وكذا ويروي الكلام بالمعنى في حين أنّ الرجل الذي حمّله الرسالة لم يقل ذلك أو الذي ينقل عنه لم يقل ذلك فالصّحابة رضوان الله عليهم كانوا يهتمّون بالإسناد اهتماما كبيرا وهذا الاهتمام بالإسناد لأنهم كلهم –كما هو معروف– لأنّ الصّحابة كل الصّحابة كانوا عدولا يعني لا يتأتّى من واحد منهم بحال أبدا خروج على أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيكذب على النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكانوا رضوان الله عليهم واعين لما ينقلون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأننا نحن المسلمين الآن نقع في أمر عظيم فمهما نقلت من نص عن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم تضبطه عند النقل فنقلته ولحنت فيه يعني رفعت المنصوب ونصبت المجرور وأخذت تصنع في ذلك النحو ما لا يَجْمُلُ أن يصنع به لو فعلت ذلك فأنت أي الأبعد يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنك تلحن في نصّ رسول الله والنبيّ لم يكن يلحن, فهذا الكلام الذي جئت به من أين جئت به وأنت تعلم أنّ اللّحن أحيانا يُخرج من الملة ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾ [البقرة: 124] فقدم المفعول به وهو إبراهيم و أخّرالفاعل و هو ربه فالذي يَبتلي ههنا هو الله والمُبتلى هو إبراهيم لو قال إنسان وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمُ رَبَهُ فيكون المُبتلى هنا هو الله و يكون المبتلي هو إبراهيم وهذا خطأ فاحش لو قصده قاصد لخرج من الملة.

﴿ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 3] لو قال ورسولِهِ و جعلها على الخفض فقد عطفها على المشركين فإذا يبرأ الله رب العالمين على ذلك من المشركين ومن رسوله.

كما أنّ الرجل الأعرابي لمّا جاء فصلى وراء إمام نصبه عمر فلمّا أن دخل الرجل الصلاة فلحن فقال: أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ فقال الأعرابي أوقد برأ الله من رسوله إني قد برأت ممن برأ منه الله فأمسكوا به وذهبوا به إلى عمر رضوان الله عليه فقال عمر ما تقول؟

قال لقد سمعت من الإمام الذي نصبته في المسجد آنفا أنّ الله قد برأ من رسوله قال وما ذاك فأعاد عليه الآية ملحونة فقال ليس كذلك وإنما هي ﴿ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 3] يعني ورسوله بريء من المشركين كما أنّ الله بريء من المشركين, و كذلك إذا ما نظرت في قول الله جل وعلا:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ [فاطر: 28] و لفظ الجلالة ههنا في موضع النصب على المفعولية فهو الذي يُخشى﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] فالعلماء هم فاعل الخشية هم الذين يخشون من الله جلّ وعلا لو قال قائل إنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ فكأنّ الله تبارك و تعالى- أو من عباده العلماءِ – فكأنّ الله جلّ و علا يخشى من العلماء ومن تعمد أن يقول مثل ذلك فقد خرج من الملة نسأل الله السلامة. فأنت إذا لحنت في حديث النبي فأنت تكذب على رسول الله لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يكذب قط وهؤلاء في النقل رحمة الله عليهم حتى الذين جاءوا من بعد الصّحابة والتابعين كانوا يتحرّجون في أن يغيّروا في الرّواية رسول الله إلى النبيّ, يعني إذا قال الذي يسمع منه الراوي يعني إذا قال الشيخ في مجلس التحديث قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كذا وأراد التلميذ أن ينقل عن الشيخ ما قال فليس له أن يقول قال النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كذا كانوا يتحرّجون من أن يُغير رسول الله إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أو النبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع أنّ رسول الله هو النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلا خلاف ولكن يتحرّجون تغيير شيء من موضعه وينقلون الأمر على وجهه فأدّوا الأمانة كما ينبغي أن تؤدى رضوان الله عليهم جميعا.

لمّا وقعت الفتنة, الفتنة الأولى التي كانت بقتل عثمان رضوان الله عليه واشتجر الأصحاب في الخلاف وأسيلت بعد ذلك وأريقت الدماء هذا قول, أم هي فتنة ابن الأشعث عندما كانوا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أجل أن يؤيّدوا بدعتهم, الذي يذهب إليه المحققون أنها كانت فتنة ابن الأشعث يقول كما في مقدمة صحيح مسلم رحمة الله عليه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلمّا وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم يعني أنت تأتي بهذا النصّ عمن؟ وهذا الذي سمعت منه عمن سمع ؟ أين هي سلسلة الإسناد؟ أنت لا تستطيع أن تصعد السطح من غير سلّم, ويحك أتستطيع أن تصعد السقف من غير سلّم؟ فكذلك لا تستطيع أن تصل إلى المتن يعني إلى النصّ من غير سلسلة من غير

إسناد فكيف تصل إلى النصّ من غير إسناد؟ فلمّا وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم من أجل أن نرى هؤلاء الرّجال ونرى عدالة هؤلاء الرّجال وننظر في أحوال هؤلاء الرّجال, يُنظر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم ويُنظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم وبناء على أنّ الخبر لا يُقبل إلا بعد معرفة سنده ظهر علم الجرح و التعديل.

المجروح الذي قيل فيه ما يجعل روايته ساقطة لا تُقبل و المعدّل الذي قيل فيه من الأقوال ما يجعله عدلا مقبول الرّواية زكّاه العلماء. فهذا علم يسمّى بعلم الجرح و التعديل وهو ما قيل في الرّواة من نقلة الأخبار ونقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما قيل فيهم من الأقوال التي تزكّيهم وتعدّلهم وتجعلهم مقبولا روايتهم أو تجعلهم ساقطين منفييّن لا تقبل منهم رواياتهم.

ظهر علم الجرح والتعديل والكلام على الرّواة وظهرت بعد ذلك علوم كمعرفة المتّصل أو المنقطع من الأحاديث والأسانيد ومعرفة العلل الخفية وظهر الكلام في بعض الرّواة ولكن على قلّة لقلّة الرّواة المجروحين في أوّل الأمر, لأننا نعود الآن إلى عهد الصّحابة المكرّمين رضوان الله عليهم أجمعين, لم يكونوا يكذبون ولم يثبت قطّ أنّ واحدا منهم تورّط في الكذب, وأنت عندما تقرأ في النصوص وفي الأخبار فتجد بعض أهل الزيغ يقولون أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الحديث المتواتر الذي هو من دلائل نبوته وهو "من كذب عليّا متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار", "من كذب عليّا متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار", قال بعض أهل الزيغ أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال هذا النصّ بسبب أنّ رجلا من الأصحاب تورّط في الكذب على رسول الله وهذا لم يحدث بفضل الله تبارك وتعالى من أصحاب النبيّ, لم يكونوا يكذبون قطّ رضوان الله عليهم أجمعين.

فالرّواة المجروحون يعني الذين لا تُقبل منهم رواياتهم و يُتوقّف فيهم حتى يتبيّن المرء حالهم, هؤلاء الرّواة المجروحون لم يكونوا كثيرين في بدأ الأمر وتوسّع العلماء بعد ذلك حتى ظهر البحث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من ناحية الضبط, كيفية التحمّل, كيفية الأداء, معرفة النّاسخ والمنسوخ, معرفة غريب الحديث, معرفة المُدرج من الأحاديث إلى غير ذلك ممّا كان يتناقله العلماء ولكن شفهيا من غير تدوين ولكنها قواعد شاملة حاضرة في أذهانهم وهذه القواعد عليها العمل بين هؤلاء العلماء في نقل الأخبار وفي ثبوت الأحاديث أو في تزييفها رضوان الله

عليهم جميعا ووضعوا لكلّ أمر من الأمور التي تتعلق بالأحاديث النبويّة الشريفة وضعوا لها علم فوضعوا علم الوفيات وعلم المواليد, ولا تضنّن أنّ هذا الذي وصل النّاس إليه في القرون المتأخرة وفي الحضارة والمدنية الحديثة من ضبط المواليد وضبط الوفيات أنّ هذا جديد, أبدا إنّ علماءنا من المحدّثين كتبوا في الوفيات وكتبوا في سِني مواليد الرّواة من أجل أن يعلم هل هذا الرّاوي الذي ولد سنة كذا ومات سنة كذا و يقول إنّه سمع من فلان, فلان مات سنة كذا مات قبل أن يولد هذا الذي يقول إنّه قد سمع منه فكيف بالله يكون قد سمع منه؟ إذا هو كاذب أو مدلّس في دعوى السماع من هذا الرّاوي فضبطوا الوفيات وضبطوا المواليد وضبطوا الرّحلات من الذي رحل؟ ومن الذي دخل البلد؟ ومن الذي ذهب إلى البلد فوجد المحدّث قد مات فلم يسمع منه شيئا؟ ومن الذي دخل البلد والمحدّث لم يمت ولكنّه صرفه عن السماع منه صارف؟ ومن الذي اختلط في آخر عمره فكان لا يدري ما يقول؟ ومتى اختلط؟ حتى نميز الأحاديث التي كان يرويها قبل الاختلاط من الأحاديث التي رواها بعد الاختلاط فنقبل ما نقله الثّقاة عنه قبل اختلاطه كما هو الشأن مع أبي إسحاق السبيعي رحمة الله عليه وهو من فحول نقلة حديث النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم اختلط في آخر عمره فنحن ننقل عن هؤلاء المحدّثين ما قالوه ورَوَوْهُ قبل اختلاطهم ولا نقبل ما كان بعد الاختلاط, ما من أمر من الأمور إلا ووضعوا له علما مستقلا. الذي أبهم, يقول فجاء رجل فسأل النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم. من هذا الرجل؟ فقام رجل فقال يا رسول الله, فهذا رجل أُبهم فلم يُذكر, فقالت امرأة سفعاء الخدّين يا رسول الله أيكفرن بالله فقال لا بل يكفرن العشير, من هذه المرأة؟ وما اسمها؟ وما شيتها؟ وما حليتها؟ ومتى تكلمت بهذا الموقف؟ ومتى ماتت؟ ومتى كانت حيّة؟ إلى أمثال هذه الأمور فيما يتعامل به المحدّثون مع المبهمات سواء كان المبهم الذي لا يُذكر اسمه ولا لقبه ولا كنيته ولا يُعرف في ظاهر الأمر سواء كان هذا المبهم في الإسناد يعني في سلسلة الرجال أم كان في المتن يعني في النصّ الذي تنقله, هذه الأشياء وصل إليها المحدّثون رحمة الله عليهم وضبطوها غاية الضبط ووضعوا علوما لا تقبل بعد ذلك زيادة أبدا رحمة الله عليهم جميعا. فعلومهم من حيث القواعد ومن حيث الأصول لا يُزاد عليها بفضل الله ربّ العالمين وأمّا من حيث التطبيق من حيث تطبيق تلك القواعد وتلك الأصول على الأحاديث بالأسانيد والمتون والبحث عن تلك الأحاديث في بطون الكتب من المخطوطات التي تظهر

إلى غير ذلك فهذا أمر فيه اجتهاد لأهل العلم وأمّا قواعدهم رحمة الله عليهم فقد أسّسوها وانتهى الأمر.

تطوّر الأمر بعد ذلك وصارت العلوم تكتب بعد أن كانت مجرّد قواعد تعارف عليها العلماء فهم يستخدمونها من غير كتابة في كتاب ولا قرطاس بعد ذلك دُوّنت العلوم وكتب العلماء من المحدّثين رحمة الله عليهم ومن نقدة الأخبار كتبوا القواعد وفصّلوها رحمة الله عليهم و لكن في بدأ الأمر كانت قواعد نقل الحديث النبوي الشريف مبثوثة متداخلة في كتب الأصول وفي كتب الحديث وفي كتب الفقه أيضا, كما صنع الإمام الكبير الإمام الشّافعي في كتاب الرسالة وفي كتاب الأمّة فتجد الشّافعي رحمة الله عليه يؤسّس لعلم المصطلح في كتاب الرّسالة وهو في الأصل أي الكتاب, كتاب مؤسّس لعلم الأصول ومع ذلك تجد الشّافعي ينصّ على قواعد كثيرة رحمة الله عليه ممّا يتعلّق بكيفية ضبط الأخبار ونقل تلك الأخبار, أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنّها ليست في مصنّف مستقلّ وإنّما هي في مصنّف وضع في الأصل لبيان قواعد تتعلّق بأصول الفقه ولكن لمّا نضجت العلوم بعد ذلك واستقرّ الاصطلاح واستقلّ كل فنّ من فنون العلم الشّرعي عن غيره وذلك في القرن الرّابع هجري أفرد العلماء علم المصطلح في كتب مستقلّة وأوّل من أفرد علم المصطلح بتصنيف مستقلّ هو القاضي أبو محمّد الحسن ابن عبد الرّحمان ابن خلاّد الرَّامَهُرمزي الإمام الرَّامَهُرمزي في كتاب سمّاه (المحدّث الفاصل بين الرّاوي و الواعي), (المحدّث الفاصل بين الرّاوي و الواعي) وهو بحمد الله جلّ و علا مطبوع الآن موجود متوفر في المكتبات بفضل الله ربّ العالمين, القاضي أبو محمّد ابن خلاّد الرَّامَهُرمزي توفّي سنة ستين و ثلاث مئة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في القرن الرّابع هجري, هو أوّل من صنّف تصنيفا مستقلاّ و كتب كتابا مستقلاّ في علم مصطلح الحديث وأنت تعلم أنّ علم الحديث يقسّمه العلماء قسمين:

علم الحديث رواية و علم الحديث دراية.

علم الحديث وهو من أجلّ العلوم كما هو معلوم لأنّه إذا كان العلم يَشْرُفُ بشرف معلومه فعلم الحديث معلومه هو كلام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويكفيه هذا شرفا وأهل الحديث لهم منزلة عظيمة جدا في دين الله ربّ العالمين وفي سلسلة العلماء المسلمين.

أهل الحديث هُمُ أهل النبيّ وإن

لـــم يـــشهدوا نفـــسه أنفاســـه شـــهدوا
صلى الله عليه وعلى آله و سلم, فعلم الحديث رواية و علم الحديث دراية,
علم الحديث في جملته ينقسم قسمين:
علم الحديث رواية و علم الحديث دراية

علم الحديث رواية هو علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقريـــر أو صـــفة خِلقيّة أو خُلُقيّة فعلم الحديث رواية علم يتعلّق و يشتمل على ما أضـــيف إلى النبيّ, إذا هو ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, معرفة ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعني من غير فحص في المتون و لا في كيفية النقل وإنّما هو تعامل مع المتن.

علم الحديث رواية هو مجرّد النقل, هو ما أضيف إلى رســـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقيّـــة أو خُلُقيّة لأنّ هذا هو تعريف الحديث عند المحدّثين فالمحدّثون يهتمّـــون بكلّ شيء كان متعلّقا برسول الله حتى وصف رسول الله صلى الله عليـــه وسلم مع أنّ وصف النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يكن يتعلّق به عمل يعني أنت لو عرفت أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كـــان شديد سواد العين كان النبيّ صلى الله عليه وسلم شديد سواد العين وكان بين عينيه عرق يدرّه الغضب وكان النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربعة في الرّجال فليس بالطويل وليس بالقصير وإنّما كان بين بين, صلى الله عليه وعلى آله وسلم لو أنّك عرفت هذا, هذا يترتّب عليه حكم شرعي يلزمك العمل به؟ يعني لو أنّك خلقت قصيرا لم تبلغ مبلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في خِلقته أو خلقت طويلا فتجاوزت ما جعله الله ربّ العالمين في خِلقة النبيّ صلى الله عليه وسلم فـــي الوســـطيّة فمـــاذا تصنع؟ لا يترتّب عليه حكم ولكن المحدّثون ينقلون لك صفة رســـول الله صلى الله عليه وسلم كأنّك تراه فإذا العلم الذي يتعلّق برواية ما أضـــيف برواية بنقل ما أضيف إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من القول أو الفعل أو التقرير كأن يؤكل الضبّ على مائدته فلا ينكر, يؤكل الضبّ و هـــو حيوان جبلي معقّد الذنب يؤكل على مائدة الرّسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو ينظر فلا يعترض هذا تقرير, إذا قد أقرّه فما دام أقرّه فهذه سنّة تقريرية فالرّسول صلى الله عليه وسلم كل ما رُوي عنه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقيّة أو خُلُقيّة يعني ما يتعلّق بأخلاق رســـول الله صلى الله عليه وسلم من حلمه وصفحه وصبره وعدله صـــلى الله عليـــه

وسلم إلى غير ذلك من الصّفات التي كان قد حلّى الله ربّ العالمين بها نبيّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم, هذا علم الحديث رواية.

و أمّا علم الحديث دراية, علم الحديث دراية فأمر ستعمل فيه العقول بمجرّد ما تسمع دراية لأنّه أمر يتعلّق بالدّراية بالبحث بالنظر بالتنقيب بالفحص بالتفتيش فهذا أمر عندئذ يتعلّق بغير الرواية ولا يتعلّق بالرّواية وحدها فهو علم يُعرف به حال الرّاوي والمرويّ من حيث القبول و الردّ.

إذا علم الحديث دراية هو علم ستبحث فيه عن حال الرّاوي الذي ينقل الحديث وعن المرويّ أيضا الذي نقله الرّاوي من حيث القبول والردّ يعني هذا الرّاوي نعتمده أو لا نعتمده نجيزه أو لا نجيزه وإن كنّا نعتمده فما مسوّغات الاعتماد؟ وإن كنّا نردّه فما حيثيّات الردّ وهذا النصّ أيضا عندما ننظر فيه نعتمده أو نردّه وأيضا حيثيّات الاعتماد أو حيثيّات الردّ هذا هو علم الحديث دراية.

علم الحديث دراية هو علم يبحث في حال الرّاوي والمرويّ يعني الرّاوي هو الرّجل الذي ينقل الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أو عن شيخه عن شيخه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمرويّ هو ما يُنقل في النّهاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, إذا علم الحديث دراية هو علم يُعرف به حال الرّاوي والمرويّ من حيث القبول والردّ وما يتعلّق بذلك من طرق الرّواية وطرق الأداء يعني عندما يجلس العلماء في مجالسهم يعلّمون تلامذتهم وعندما يجلس الرّاوي المحدّث في مجلس التحديث ويقوم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما النُظُمْ التي كانت تحكم الجلسة؟ ماهي النظم التعليمية التي كانت تحكم جلسات الحديث يجلس فيها المحدّثون من أجل أن ينقلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى تلامذتهم؟ وأيضا عندما يجلس التلميذ في الحلقة يسمع من الشيخ هل كان الشيخ يحدّث من حفظه؟ أو يحدّث من كتابه؟ أم كان هناك من يقرأ من كتاب الشيخ والشيخ يسمع؟ أم أنّه ناول التلميذ كتابا فقال هذه مسموعاتي وقد أجزتك بها فأجازه مناولة؟ أو أنّه أجازه مناولة من غير إجازة فناوله الكتاب يعلم التلميذ الكتاب والشيخ يعلمه من غير أن يقول أجزتك؟ أو يأتي إليه فيقول له أجزني بمرويّاتك في كتاب كذا فيجيزه؟ فهذه الأشياء كلّها تتعلّق بطرق التحمّل والأداء.

الأداء هو أن يجلس المحدّث أو العالم فيؤدي العلم وأيضا يجلس التلميذ في مجلس العلم فيتحمّل فهذا تحمّل وهذا أداء. ما هي طرق التحمّل والأداء؟ هذا ما يبحث فيه علم الحديث دراية, فعلم الحديث رواية يبحث في ما أضيف إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقيّة أو خُلُقيّة وعلم الحديث دراية هو علم يبحث عن حال الرّاوي والمرويّ من حيث القبول والردّ وما يتعلّق بذلك من الأداء والضبط وطرق التحمّل والأداء, فهذا هو علم الحديث في تقسيمه العام.

العلماء رحمة الله عليهم بداية من القرن الرّابع الذي كان فيه محمّد ابن خلاّد, أبو محمّد ابن خلاّد الرَّامَهُرمزي الذي كتب كتاب *(المحدّث الفاصل بين الرّاوي و الواعي)* وهو أوّل مصنّف مستقلّ في علم مصطلح الحديث في قواعد الرّواية وطرق ضبط الأداء في القرن الرّابع فتح الرّجل الباب رحمة الله عليه فكتب *(المحدّث الفاصل بين الرّاوي و الواعي)* ولم يكن- كشأن كلّ رائد يبدأ أمره- لم يكن الكتاب مستوعبا ولم يكن منسّقا التنسيق الذي نسّقه العلماء بعد ذلك وحُقّ له لأنّه رائد يبدأ الطريق من أوّله ولا يحتذي حذو من سبقه وإنّما هو يؤسس علما من حيث التدوين وأمّا العلم فقواعده في كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يؤسس علما من حيث التدوين فهو لا ينهج فيه على نهج سابق, فأتى الكتاب وفيه بعض ما يمكن أن يؤخذ عليه, ثمّ جاء بعد ذلك أبو عبد الله محمّد ابن عبد الله الحاكم الإمام الحاكم النيسبوريّ المتوفّى سنة خمس و أربع مئة من هجرة رسول الله في بداية القرن الخامس هجري فصنّف كتاب *(معرفة علوم الحديث)* ولم يهذّب الأبحاث ولم يرتبها الترتيب الفني المناسب وله عذره فجاء أبو نُعيم رحمة الله عليه أحمد ابن عبد الله الأصبهاني متوفّى سنة ثلاثين وأربع مئة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعني توفّي بعد خمس و عشرين سنة من موت الإمام الحاكم أبي عبد الله رحمة الله عليه فصنّف أبو نُعيم *(المستخرج على معرفة علوم الحديث)* فصنع مستخرجا على كتاب الحاكم رحمة الله عليه كتب فيه واستدرك ما فات الحاكم في كتابه *(معرفة علوم الحديث)* من قواعد الفنّ ولكن ترك أشياء يمكن للمتعقب أن يتعقّبه عليه وهذا هو شأن كل مؤلّف بشري لأنّه ما من إنسان يصنّف مصنّفا إلا وفيه من المآخذ ما الله به عليم, والشافعي رحمة الله عليه قرأ الرّسالة على تلامذته خمسين مرّة وفي كلّ مرّة يقدّم ويؤخّر وفي كلّ مرّة يزيد وينقص فلمّا وصل إلى المرّة الخمسين وهو يزيد و ينقص ويقدّم

ويؤخّر ويشطب من ذلك ويقدّم فيه ما يقدّمه من العلم الذي أحدثه الله لـه إلى غير ذلك, لمّا ملّ قال أبى الله أن تكون العصمة لكتاب سوى كتابه أبى الله أن تكون العصمة لكتاب سوى القرآن العظيم. يعني لو ضليت أنظر في الكتاب ألف مرّة وكلّ مرّة أقدّم وأؤخّر وأزيد وأنقص لأنّه عمل بشريّ وكذلك كلّ عمل بشريّ. ثمّ جاء الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المشهور المتوفى سنة ثلاث وستين وأربع مئة وهو الذي وضع كتاب *(الكفاية في علم الرّواية)* وهو من أجلّ الكتب في هذا الفنّ كتاب حافل بتحرير مسائل هذا الفنّ وبيان قواعد الرّواية ويعتبر من أجلّ مصادر هذا العلم, كتاب الكفاية للخطيب البغدادي رحمة الله عليه و كتب أيضا *(الجامع لأخلاق الرّاوي و آداب السّامع)* صنّفه الخطيب أيضا وهو كما ترى من عنوانه يبحث في آداب الرّواية كما هو واضح من التسمية وهو كتاب فريد في بابه قيّم في أبحاثه ومحتوياته وقلّ فنّ من فنون علوم الحديث إلاّ وصنّف الخطيب فيه كتاب مفردا رحمة الله عليه ولذلك قال الحافظ أبو بكر بن نقطة:" كل من أنصف علم أنّ المحدّثين بعد الخطيب عيال على كتب" كل من أنصف علم أنّ المحدّثين في العالم كلّه بعد الخطيب البغدادي المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة من هجرة رسول الله كلهم بعده عيال على كتبه رحمة الله عليه, ثمّ جاء القاضي عياض المالكي عياض بن موسى اليَحْسُبي رحمة الله عليه وصنّف كتابا سمّاه *(الإلماع إلى معرفة أصول الرّواية و تقليد السّماع)* والكتب التي مرّت كلّها بفضل الله ربّ العالمين قد طبعت محققة فهذا الكتاب الذي صنّفه الإمام القاضي عياض بن موسى اليَحْسُبي المتوفّى سنة أربع وأربعين وخمسمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا الكتاب حققه الأستاذ السيّد صقر رحمة الله عليه وهو من كبار المحققين في القرن الماضي في أواخره رحمة الله عليه كان من كبار المحققين فأخرجه إخراجا حسنا, الكتاب في ذاته غير شامل لجميع أبحاث المصطلح بل هو مقصور على ما يتعلّق بكيفية التحمّل والأداء وما يتفرّع عن ذلك غير أنّ كتاب الإلماع للقاضي عياض كتاب جيّد في بابه حسن التنسيق والترتيب ثمّ جاء بعد ذلك أبو حفص عمر بن عبد المجيد المَيَنْجي المَايَنَاجي لأنّك ستجد لها ضبطا على غير صورة المتوفى سنة ثمانين وخمسمائة فكتب كتابا جزءا صغيرا ليس فيه كبيرعلم ولا كبير فائدة رحمة الله عليه سمّاه *(ما لا يسع المحدّث جهله)*, *(ما لا يسع المحدّث جهله)* ثمّ جاء الرّجل الذي جعله الله ربّ العالمين فرقانا في

تاريخ تدوين علم المصطلح وهو الإمام الكبير أبو عَمْر عثمان بن عبد الرّحمان الشهرزوري المشهور بابن الصلاح, جاء بن الصلاح رحمه الله رحمة واسعة فكتب كتابا مشهور هو بين الناس *(بمقدّمة بن الصلاح)* هذا الكتاب من أجود الكتب في المصطلح جمع فيه مؤلّفه ما تفرّق في كتب غيره ككتب الخطيب ومن تقدّمه فكان كتابا حافلا بالفوائد لكنّه لم يرتبه أيضا على الوضع المناسب لأنّه أملاه في مجالس العلم شيئا فشيئا رحمة الله عليه وهو مع هذا عمدة من جاء بعده من العلماء فكم من مختصر له وناظم وكم من معارض له ومنتصر, *(مقدّمة بن الصلاح)* منشورة نشرتها دار المعارف في أفضل نشراتها بتحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ رحمة الله عليها وابن الصلاح توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ههنا نقطة الفصل عندما جاء بن الصلاح رحمة الله عليه وكتب المقدّمة أصبح ما قبل بن الصلاح وما بعد بن الصلاح تستطيع أن تقول ق.ص وتستطيع أن تقول ب.ص قبل بن الصلاح وبعد بن الصلاح رحمة الله عليه, جاء بعد بن الصلاح رحمه الله الإمام النووي رحمه الله رحمة واسعة المتوفى سنة ست وسبعين وستمائة من هجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم فاختصر المقدّمة في جزء يسير سمّاه *(التقريب و التيسير لمعرفة سنن البشير النذير)*, *(التقريب و التيسير لمعرفة سنن البشير النذير)* صلى الله عليه وعلى آله و سلم وهو اختصار لكتاب *(علوم الحديث)* أي *(مقدّمة بن الصلاح)* غير أنّه فيه أحيانا استغلاق في بعض عباراته وكذلك صنّف رحمة الله عليه أي النووي مختصرا هو أبسط من هذا التقريب شيئا ما فكان وسطا بين المقدّمة في بسطها والتقريب في اختصاره وهو *(إرشاد طلاب الحقائق)*, في هذا الإرشاد بسط سوى الذي في كتاب التقريب, النووي رحمه الله لمّا كتب كتابه جاء بعده السيوطي رحمة الله عليه جلال الدين عبد الرّحمان بن أبي بكر المتوفى سنة إحدى عشر وتسعمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بداية القرن العاشر من الهجرة فتناول تقريب النووي بالشرح فشرحه في كتاب سمّاه *(تدريب الرّاوي في شرح تقريب النواوي)* سمّاه *(تدريب الرّاوي في شرح تقريب النواوي)* وهو من أمتع الكتب كتاب حسن جدا بفضل الله ربّ العالمين شرح تقريب النواوي كما هو واضح من الاسم وجمع فيه كذلك أي السيوطي من الفوائد الشيء الكثير ثمّ إنّه قبل ذلك جاء شيخ بن حجر والذين كانوا في عصره من الشيوخ كالسّخاوي وأمثال

هؤلاء جاء زين الدّين عبد الرّحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ست وثمانمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم صنّف الألفية ولكن لم يسمّها *(ألفية العراقي)* وإنّما سمّاها *(نظم الدرر في علم الأثر)* سمّيت عند الناس بعد ذلك ألفية العراقي, نظم فيها علوم الحديث لابن الصلاح وزاد عليها, زاد على المقدّمة وعلى بن الصلاح وهي جيدة غزيرة الفوائد جدا وعليها شروح متعددة منها شرحان للمؤلّف نفسه يعني الإمام زين الدّين العراقي, شرح ألفيته التي نظمها التي نظم فيها مقدّمة ابن الصلاح التي نظمها هو, شرحها في شرحين, شرحين مختلفين أحدهما يسمّى *(فتح المغيث)* على نفس الاسم الذي أخذه بعد ذلك الإمام السّخاوي في شرحه الذي هو من أفضل الشّروح على ألفية العراقي وسمّاه أيضا *(فتح المغيث)*. وأيضا للحافظ العراقي رحمة الله عليه زين الدين له أيضا تعليقات وتنكيتات نكّتها وعلّقها على المقدّمة ذاتها في ما يسمّى بالتقريب والتيسير أو التقييد والإيضاح, *(التقييد و الإيضاح في مقدّمة ابن الصلاح)* هذا لزين الدين العراقي رحمة الله عليه فأصبحت مقدمة بن الصلاح علامة فارقة في تاريخ علم المصطلح ما قبلها وما بعدها وترى أنّ كل ما بعدها إنّما هو مستق منها ناهل من معينها هذا ينظم المقدّمة شعرا وهذا ينكّت عليها كما فعل الحافظ العراقي وكما فعل بعد ذلك الحافظ بن حجر في *(النكت على ابن الصلاح)* كتاب *(النّكت على ابن الصلاح)* نكّت فيه أيضا يعني تتبّع فيه بن الصلاح في أشياء راجعه فيها ومآخذ أخذها عليه. فتجد أنّ الذين جاءوا من بعد يختصرون المقدّمة وينظمون المقدّمة ويأتي أقوام فيشرحون النظم وأقوام يختصرون الشرح إلى غير ذلك من الأمور. وجاء بعد ذلك محمّد بن عبد الرّحمان السّخاوي من قرية سخا في صعيد مصر الذي توفي سنة اثنتين وتسعمائة من هجرة رسول الله فشرح الألفية التي هي نظم لمقدّمة بن الصلاح شرح الألفية في كتاب اسمه *(فتح المغيث)* وهو مشهور متداول بفضل الله ربّ العالمين له فهارس في مجلّد مستقلّ وأمّا الشرح ففي أربعة أجزاء بفضل الله ربّ العالمين محققة تحقيقا فيه كثير من الضبط, شرح على ألفية العراقي وهو من أوفى شروح الألفيّة وأجودها, وجاء الحافظ بن حجر رحمه الله فأخذ يصنع بعض المختصرات له مختصر يسمّى *(نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر)*, *(نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر)* صنّف الحافظ بن حجر المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا المختصر وهو جزء صغير مختصر جدا ولكنّه

من أمتع المختصرات وأجودها ترتيبا, ابتكر فيه المؤلّف رحمه الله الحافظ بن حجر ابتكر طريقة في الترتيب والتقسيم لم يُسبق إليها وشرحه المؤلّف نفسه أي بن حجر رحمه الله في شرح سمّاه نزهة النظر, *(نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر)* رحمة الله عليه. وجاء بعد ذلك عمر ابن محمّد البيقوني المتوفّى سنة ثمانين وألف من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالبيقوني صنع منظومة صغيرة لا تتجاوز أربعة وثلاثين بيتا تسمّى *(المنظومة البيقونية)* *(المنظومة البيقونية)* وعليها شروح وتعليقات كثيرة جدا على المنظومة البيقونية وهي من المختصرات النّافعة المشهورة وعليها شروح متعددة جمع فيها عدّة أجناس من علوم الحديث وأيضا من ألفاظ الحديث جمعها هؤلاء العلماء في منظوماتهم وفي مختصراتهم تسهيلا على الطلاّب في أزمانهم وتعقيدا على الطلاّب في أزماننا, حتى المختصرات والمنظومات كانت تيسيرا على الذين كُتبت لهم, يعني الآن تجد الذي يفتح الله ربّ العالمين عليه ويفتح عين بصيرته فيحفظ تحفة الأطفال والغلمان, تحفة الأطفال *(تحفة الأطفال و الغلمان في علم تجويد القرآن)* الذي يحفظها اليوم يسمّى عالما ربّما أطلق عليه أنّه عالم بالقراءات لأنّه يحفظ تحفة الأطفال مع أنّ الاسم كما ترى يدلّ على أنّ هذه المنظومة كانت لمن؟ للأطفال والغلمان ليست للرّجال وإنّما هي للأطفال, اليوم إذا حفظها رجل صار عالما مع أنّها في الأصل لمن؟ للأطفال والغلمان تسمّى تحفة الأطفال والغلمان. فمثل هذه المنظومات ومثل هذه المختصرات كتبت لزمان غير زماننا كان العلماء فيه في طفولتهم يتوفّرون على أمثال تلك الأشياء أمّا نحن ففي شيخوختنا, في شيخوختنا لو توفّرنا عليها لكنّا بحقّ ممن يستحقّ الحياة. ثمّ جاء بعد ذلك في العصر الحديث كثير من العلماء فصنّفوا في المصطلح مصنّفات كثيرة منهم محمّد جمال الدّين القاسمي رحمه الله المتوفّى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب كتابا محرّرا مفيدا اسمه *(قواعد التحديث)* وهو مشهور منشور بفضل الله ربّ العالمين.

مصنّفات كثيرة يطول ذكرها وهذا يدلّك على أنّ ربّك تبارك وتعالى لمّا قال في كتابه المجيد:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9] كان من حفظ ربّك تبارك وتعالى ومن دلائل نبوّة نبيّك محمّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما صرف الله ربّ العالمين إليه همم العلماء من ناظم وناثر ومن كاتب مطوّل ومن مختصر إلى غير ذلك من

هؤلاء العلماء. الله ربّ العالمين يوجّه كلّ واحد منهم وجهة معيّنة فيكتب الكتب التي كتبت في تاريخ الإسلام, لو رجعت إلى المعاجم التي أحصتها فستجد العجب العاجب, هذه الكتب حرّك الله ربّ العالمين همم العلماء لكتابتها يتوفّرون على التصنيف ويجدون العناء ويجدون المشقّة في الضبط وفي التصنيف وينفقون الأوقات ربّما الأعوام المتطاولات عشرات الأعوام لكي يكتب الواحد منهم مصنّفا مبسوطا أو مختصرا منظوما أو منثورا كلّ ذلك لحياطة دين ربّك لحياطة سنّة نبيّك صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فهذا دلالة من دلائل نبوّة النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما الذي يحرّك هذه الهمم لكي تكتب أمثال هذه الأشياء؟ لولا أنّ الله تبارك و تعالى أنفذ وعده عندما قال وهو أصدق الصّادقين سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9] ومن حفظ الذّكر حفظ سنّة النبيّ صلى الله عليه وسلّم لأنّ الله جلّ وعلا لو حفظ القرآن العظيم وفيه من الإجمال ما فيه, في القرآن أقيموا الصّلاة ولكن لم يبين لنا مواقيتها بدءً ومنتهى ولم يبين لنا كيفيّات الصّلاة ولم يبين لنا سننها ولا المكروه فيها ولا ما يبطلها وكذلك ما يتعلّق بالزّكاوات وما يتعلّق بالحجّ وما يتعلّق بالقتال وما يتعلّق بالمعاملات كلّ هذا ورد في القرآن على سبيل الإجمال, ما الذي فصّل ذلك؟ سنّة الرّسول صلى الله عليه وسلم, لو حفظ ربّك تبارك وتعالى المُبَيَّن ولم يحفظ ربّك تبارك وتعالى المُبَيّن وهو السنّة فقلّي بالله عليك كيف يستطيع الإنسان أن يحلّ مغاليق ما قد أجمل وأشكل في كتاب الله ربّ العالمين مما لم يفصّله إلا سنّة الرّسول؟ لو لم يحفظ الله تبارك وتعالى سنّة النبيّ فكيف كنت تعرف كيفية صلاة رسول الله؟ كيفية الصّلاة التي أمر بها الله؟ يقول: ﴿ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: 43] ولم يفصّل لك في القرآن مقادير الزّكاة الواردة في الأنعام ولا في الأموال ولم يبين لك زكاة عروض التجارة ولم يبين لك هل في الحليّ زكاة أم لا, كلّ ذلك بينته السنّة فلو لم يحفظ السنّة فقل لي بربّك كيف كنت تستطيع أن تزكّي عن أموالك إن كانت في هذا أو هذا أو هذا من أجناس الأموال؟ كيف كنت تحجّ؟ كيف كنت تعتمر؟ كيف كنت تصلي؟ كيف كنت تتعامل بيعا و شراءً و إجارة و مشاركة و مضاربة إلى غير ذلك من أنواع المعاملات.

إذا الله حفظ سنّة الرّسول صلى الله عليه وسلم كما حفظ ربّك تبارك وتعالى كتابه العظيم, هذا حفظه الله جلّ وعلا وهذا حفظه الله جلّ وعلا بحفظه تبارك وتعالى ولا أجلّ منه حفظ, والله ربّ العالمين قدّر

هؤلاء العلماء خلقهم لهذا الشأن, الله ربّ العالمين خلق هؤلاء العلماء لهذا الشأن كما قالوا في علي بن المدين, قالوا في علي بن المدين وكان يوما جالسا في مجلس التحديث علي بن عبد الله بن المدين أبوه محدّث عبد الله بن المدين كان محدّثا إلاّ أنّه كان ضعيفا فسُئل علي بن المدين في مجلس التحديث عن أبيه قيل له كيف حال أبيك عبد الله في الحديث جرحا وتعديلا؟ ما تقول فيه؟ أنحمل عنه الحديث؟ أم فيه ضعف لا نقبل منه الرّواية؟ فأطرق عبد الله يسير ثمّ قال هو الدّين أبي ضعيف, أبي ضعيف في الحديث انتهت القصّة لا يستطيع أن يدلّس في دين الله ربّ العالمين, يقولون علي بن المدين خلقه الله لهذا الشّأن ويقول البخاريّ الإمام رحمه الله ربّ العالمين رحمة واسعة: ما استصغرت نفسي في مجلس أحد ما استصغرتها في مجلس علي بن المدين. البخاريّ رحمه الله يقول ما استصغرت نفسي في مجلس أحد ما استصغرتها في مجلس علي بن المدين رحمه الله.

البخاريّ رحمه الله من صغره خلقه الله ربّ العالمين لهذا الشأن مات أبوه وترك ألوفا مؤلفة من الدّراهم وكان رجلا صالحا لم يتعلّق بثروته درهم واحد فيه شبهة فظلا عن أن يكون حرام لم يتعلّق بثروة أبي محمّد وأبي أحمد البخاريين رحمهما الله لم يتعلّق بثروته درهم واحد فيه شبهة وفضلا عن أن يكون من حرام ولكنّه مات شاباّ وكان من أهل العلم رحمه الله وترك البخاريّ وأخاه محمدا وكان أكبر منه تركهما لأمّهما وكانت امرأة صالحة رضوان الله عليها ورحمته وأصاب البخاريّ في حدود الثامنة من عمره العمى أصيب بالعمى وأشفقت أمّه من ذلك جدا وحزنت حزنا عظيما وكانت تديم الابتهال لله ربّ العالمين والدّعاء أن يردّ الله ربّ العالمين البصر على البخاريّ رحمه الله وهو في الثّامنة من عمره بعد. وجاء في ليلة من الليالي إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم جاءها في الرّؤيا وهي نائمة فقال يا هذه لا تحزني وكانت قد نامت ودمعتها على خدّها كما يقولون قال يا هذه لا تحزني فإنّ الله راد بصر ابنك عليه وجاعله ممن يدافع عن سنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم فأصبحت وقد أعاد الله البصر للبخاريّ رحمه الله.

البخاريّ له كتاب يسمى *(التّاريخ الكبير)* ليس تاريخا بالمعنى الذي تفهمه وإنّما هو كتاب في علم الجرح والتعديل: فلان ولد في سنة كذا ومات في سنة كذا شيوخه فلان وفلان وفلان وتلامذته فلان وفلان وفلان وهو رحل إلى كذا وكذا وكذا ومات سنة كذا ودرجته بين المحدّثين كذا

وكذا وكذا هذا هو كتاب الجرح والتعديل, جمع فيه من الرّواة ما لا يحصيهم إلاّ الله ربّ العالمين. يقول عندما ذهب إلى الحجّ مع أخيه وأمّه فلمّا أن فرغوا من الحجّ أصعدوا لزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمّا أن حطّ رحاله في مدينة النبيّ وله ثمانية عشر عاما استأذن من أمه أن يبقى في مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يكن المسجد يضاء بعد العشاء الآخرة, لأنّك تعلم أنّ أوّل من أضاء المصابيح أو القناديل في المساجد هو عمر رضوان الله عليه فكان علي رضوان الله عليه إذا دخل مسجدا فوجده مضاءا بالقناديل يقول أنار الله قبرك يابن الخطّاب كما أنرت مساجدنا رضوان الله عليهم جميعا. فكان بعد العشاء الآخرة لا يضاء في مسجد النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ضياء ولا نور إلاّ النّور الذي يجعله الله ربّ العالمين فيه من حيث لا يدري الناس ولا يحتسبون, يقول البخاريّ بعد أن استأذن وبقي في المدينة وذهبت أمّه وأخوه لحال سبيلهما, يقول صنّفت *(التاريخ الكبير)* بجوار قبر الرّسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في اللّيالي المقمرة في اللّيالي المقمرة صنّف الكتاب من حفظه في اللّيالي المقمرة لا ضياء هناك ولا نور وإنّما كتبه على ضوء القمر يقول في اللّيالي المقمرة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم, يقول وقلّ اسم في *(التاريخ الكبير)* يعني في كتابه هذا وقلّ اسم في التاريخ إلا وعندي فيه قصّة ولكنّي خشيت التطويل رحمة الله عليه. فلو كان أطال كيف كان يكون الشّأن رحمه الله, هذا الإمام العظيم خلقه الله ربّ العالمين لهذا الشّأن.

أحمد بن حنبل مات أبوه صغيرا وهو رحمة الله عليه ورضوانه رعته أمّه وكانت امرأة صالحة وكان وهو صغير يريد أن يخرج قبل أذان الفجر, أبوه لم يترك له شيئا إلا دكّانا أو دكّانين فكان يعيش من غلتهما إيجارا وقراءة وعاش على الشظف وعاش على توحيد الله و إتباع نبيّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكان ممن نترضّى عنه في مجالسنا. وعند ذكر الصّالحين تتنزّل الرّحمة كما قال هو رحمة الله عليه ورضوانه لأننا لا نقدر علمائنا حقّ قدرهم كما هو معروف عنّا جميعا كان أحمد رحمة الله عليه متكئا يوما من علّة راقدا متكئا على فراشه من علّة من مرض رحمة الله عليه وذُكر عنده إبراهيم بن طهمان رحمة الله عليه وإبراهيم عالم من العلماء الكبار ومن روّاة الصّحيحين إبراهيم بن طهمان, لمّا ذكر وكان عابدا عند الإمام أحمد قام وكان متكئا يقول أسندوني أقيموني حتى قام واعتدل في جلسته فقالوا له لم تشقّ على نفسك

ولم قمت من اتكائك؟ فقال الإمام رحمه الله: لا يصحّ ولا يجمل أن يُذكر الصّالحون ونتكئ, لا يجوز أن يُذكر الصّالحون ونتكئ نحن لا يجوز لا يجوز ولا يصحّ أن يُذكر الصّالحون ونتكي ثمّ قال عند ذكر الصّالحين تتنزّل الرّحمة. الإمام أحمد رحمه الله كان يريد أن يخرج وهو صغير وهو غلام بعد يافع لم يراهق لم يصل إلى حدّ المراهقة بعد كان يريد أن يخرج قبل أذان الفجر إلى مجالس التحديث من أجل أن يسمع أحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم من غير أن يُبلّغه إيّاها مبلّغ وهو المستملي الذي كان يقف بين يدي الشيخ. يقول الشيخ حدّثنا فلان فيقول المستملي حدّثنا فلان كالمبلّغ في الصلاة ويوجد مستملي آخر لأن الحلقة كانت أحيانا تصل إلى سبعين ألف عمامة في مجالس العلماء, كان يجلس في مجالس العلماء أحيانا سبعون ألفا من أصحاب العمائم كلهم من العلماء الذين كانوا يطلبون العلم في ذلك الزّمان, من العلماء بمقاييس عصرنا, لم يصل إلى علم واحد منهم عالم من علمائنا اليوم لأنّهم كانوا حفظة لحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولقواعد العلم فكان أحمد رحمه الله يحبّ أن يخرج مبكّرا لكي يسمع من فم المحدّث ولا يسمع من المستملي فتأخذ أمّه بثيابه فتجمعها فتقول لا تخرج الآن ولم يكن أحمد رحمه الله يصل إلى العلم عن طريق العقوق فكان ينزع منها مثلا ثيابه و يقول دعيني يامرأة إنّي أريد أن أذهب لكي أسمع حديث رسول الله أنت تقعدين في البيت كالبومة وأنا أريد أن أطلب الحديث, لا لا لا لو فعل ذلك ما كان لو فعل ذلك ما كان وإنّما يسمع كلامها ويصغي له وينقّذ فيقعد, يقول حتى يؤذّن المؤذّن فإذا أذّن المؤذّنون على المنارات أطلقت سراحه فذهب رحمة الله عليه.

ابن الجوزيّ رحمه الله هو أيضا عاش يتيما ونشأ يتيما رحمه الله كان يأخذ كسرا من الخبز ويدور على مجالس العلماء ومجالس المحدّثين يسمع ويكتب ثمّ يأخذ كسره ويجلس على ضفّة الفرات سلّمه الله ربّ العالمين واليوم يتدرّبون ويدرّبون القوّاة على كيفية عبوره من أجل احتلال العراق ومن أجل احتلال بغداد سلّمها الله ربّ العالمين من كلّ سوء, يجلس على شاطئ الفرات يأخذ كسره فيجعلها في الماء في ماء الفرات ثمّ هذا هو إدامه, هذا إدامه يأكل كسره يجعلها في ماء الفرات حتى تأتي العشاء الآخرة. خلقهم الله ربّ العالمين لهذا الشأن رحمة الله عليهم. و لا تحسبنّ أنّ هؤلاء كان فيهم من الغلظة كثير شيء بل كان فيهم وفيهم رحمة الله عليهم وكان منهم رحمهم الله من كان ذا دعابة

لطيفة فإنّ هشام بن عمّار رحمه الله وهو عالم من العلماء الفحول ومن الرّواة المتمكّنين, هشام بن عمّار رحمه الله رحمة واسعة عندما كبر في السنّ والرّجل عندما يكبر في السنّ تعلم ما يحدث للإنسان منّا عندما يكبر وتضعف قوّته ربما أراد أن يجعل إزاره على وسطه فانحلّ عنه وربّما جلس وإزاره غير محكم الوثاق على وسطه فربّما بدت عورته, وأرسل الخليفة يوما إليه ولدا من أولاده لكي يسمع منه الحديث وجلس هشام بن عمّار رحمه الله يتوضّأ فانكشفت عورته فقال له ابن الخليفة يا عمّاه يا عمّاه واري عورتك فقال رأيته؟ فقال نعم قال إذا لا يصيب الضّر عينك بعدها أبدا. فلم يكونوا كما تحسبون ولم يكونوا أيضا كما تضنّون ليسوا منفلتين وأيضا ليسوا منغلقين وإنّما كانوا رحمهم الله ربّ العالمين يقدرون لكل شيء قدره وكانوا يعرفون قدر العلم الذي يحملونه وكانوا يوقّرون هذا العلم ويحترمونه حتى إنّ الواحد منهم لم يكن يقبل من واحد من المحدّثين أن يأتي بأمر يخل به ظاهرا. يعني ما الذي يضيرك لو كنت محدّثا أن تركب حمارا فتركض به وتجري و يعدو بك عدوا كبيرا أي شيء في هذا يسقط العدالة أو يضع من قدرك أو يخلّ بمروءتك؟ لا شيء أمّا شُعبة فيقول فلان ليس من رجالي فلان لا أروي عنه فيقولون لم؟ ما علمنا عليه إلا خير يقول رأيته يركب برْذَونًا وهو من الهجين الذي هجن بين الأفراس العربية وغيرها, رأيته يركب بغلة يركض بها ملء فروجها وهي تجري وتجري جريا سريعا وأيّ شيء في هذا قال لا لا أسمع منه ولا أنقل عنه. أنظر إلى دقته في هذا أنظر إلى الرّجل منهم يقول لا أروي عن فلان فيقول له الشّافعي ولم؟ يقول رأيته يبول قائما يقول وأي شيء في هذا؟ رأيته يبول قائما يجوز أن يتبوّل الإنسان أحيانا قائما يقول رأيته يبول قائما قال وأي شيء في هذا؟ قال يتناثر رذاذ البول على ثوبه أو على جسده فقال ومن أدراك أنّه لا يمسحه أو لا يغسله مع أنّه معفوّ عنه كما تعلم فيقول الشّافعي من أدراك أنّه لا يغسله قال أعلم أنّه لا يغسله وهو لا يعلم ولكن هو يظنّ به ظنا غالبا أنّه لا يغسله ما الذي أقامه وهو يتبوّل لم لا يقعد؟ هكذا قولا واحدا فكانوا يتشدّدون في أمثال هذه الأمور حياطة لماذا؟ لحديث الرّسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم واليوم تجد الواحد منهم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, ما قال ؟ أنت والله الذي رفع السّماء بغير عمد تكذب عليه إمّا أنّك تلحن في الحديث وتأتي بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان ولا قالها الرّسول صلى الله عليه وسلم وإمّا أنّك تفتري على النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ما لم يقله ومن أدراك أنّه قال, الواحد منهم اليوم يقول رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و رُوي صيغة تمريض فكأنّك تضعّف المروي بعده.

عندما تقول يُقال عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, يُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, يُذكر عن رسول الله هكذا على المبني للمجهول مبني لما لم يُسمّى فاعله هذه صيغ تمريض وليست بصيغ توثيق يأتي بالحديث في الصّحيحين ويقول لك يُروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال كذا يُروى؟ يُروى على الصّحيحين؟ يُروى؟ على حديث متواتر في أعلى درجات الضبط تقول يُروى؟ كأنّك تضعّف الحديث الذي في الصّحيح وأنت لا تدري لا علم وبالتالي لا عمل ولا اعتقاد لأنّه لا اعتقاد إلاّ بعلم وعليه فأمّة همج رعاع أتباع كلّ ناعق تبدّدت بددا وصارت كما ترى نثارا متفرّقا لا يجتمع وصارت كما ترى تدخل عليها البدع من أقطارها لا تجد حاجزا يحجزها ولا سدّا يصدّها لماذا؟ لغياب العلم الشّرعي بقواعده وآدابه وانتفاء آفاته وإلاّ فلن يوجد صلاح للأمّة قطّ لأنه لن تصلح هذه الأمّة في أواخرها إلاّ بما صلح عليه أوائلها كما قال علماءنا عليهم الرّحمة. وأنت تعلم أنّهم رحمة الله عليهم كانوا يحيطون هذا العلم الشّريف لأنّهم يعلمون أنه ديانة" إنّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " هذا القول في مقدّمة صحيح مسلم ثابت عن محمّد بن سيرين رحمة الله عليه يقول" إنّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " فلمّا حققتها بفضل الله تبارك وتعالى عادت إلى الصّحابة إلى أكثر من صحابيّ وتجدها في أقرب ما تقع عليه يدك في التمهيد لابن عبد البرّ وستجدها لأبي هريرة نفسه رحمة الله عليه ورضوانه ولا يقول مثل ذلك من قبل الرّأي فأنّ هذا القول هو قول الرّسول صلى الله عليه وسلم هذا العلم دين فانظر عمن تأخذ دينك فلا تسمع لأي أحد ولا تقرأ لأي أحد ولا تلقي بنفسك إلى التهلكة ولا بذاتك إلى البوار والهلاك وأنت تدري أو لا تدري وإنّما عليك أن تحتاط وعليك أن تتعلّم العلم الشّرعي الصّحيح وأن تتعلّم للعلم الأدب كما قالوا تعلّموا هذا العلم و تعلّموا له الأدب ولا يفلح العلم في نفس قطّ إلاّ إذا كانت نفسا قد أحكمتها قواعد الأدب وسارت بعد ذلك على قواعد الأدب الشّرعي المستقيم وإلاّ فلا يمكن بحال أبدا أن ينتفع إنسان بالعلم من غير أدب. كذلك أدّب الله ربّ العالمين أصحاب الرّسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أرادوا أن يناجوا الرّسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليهم أن يقدّموا بين يدي نجواهم صدقة

ونُسخ الأمر بعد ذلك لم يأخذ به إلاّ علي, فقالوا هذه الآية منسوخة لم يعمل بها إلا علي وهو الذي قدّم الصّدق ثمّ دخل يناجي النبيّ صلى الله عليه وسلم لماذا يفعل ذلك؟ لأمور كثيرة منها والله أعلم أن يجعلك على المستوى النّفسي الذي تتحمّل فيه ما يُلقى إليك وأنت واع متيقّظ الحسّ, تقدّم بين يدي النّجوى صدقة فتعلو بمستواك وبحسّك إلى الدّرجة التي تجعلك على المستوى ثمّ تدخل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فتناجيه فتكلّمه ويكلّمك فتعي أنت وأنت متيقّظ الحسّ بفضل الله ربّ العالمين.

الله ربّ العالمين يؤدّب أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ [النور: 63] لأنّه لابدّ للقائد من هيبة ولا بدّ للمعلّم من سلطة وإلاّ فإذا فقدت الهيبة وإذا فقدت السّلطة فلن يستفيد جندي من قائده ولن يستفيد متعلّم من معلّمه ومتى أسقط التلميذ الكَلَفَة بينه وبين معلّمه فلن يستفيد منه حرفا, وهذا كان مشاهدا عندنا نحن من أهل هذا الزّمان في مدارسنا قديما المعلم الذي له السطوة ولو كان قليل العلم يستفيد منه تلامذته, المعلّم الذي يحترمه تلامذته وينزلونه منزلته كانوا يستفيدون منه ولو كان قليل العلم والمعلّم الذي فاض علمه حتى ملء الأركان ولكن كما نقول نحن في لغتنا لا شخصيّة له وليست له الهيبة في نفوس تلامذته لا نستفيد منه حرفا واحدا.

أدّب الله ربّ العالمين أصحاب نبيّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مجالسهم: ﴿ إِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ﴾ [المجادلة: 11]

الله ربّ العالمين يقول إذا قيل لكم ارتفعوا في المجالس إلى المستوى اللائق بكم فارتفعوا وتعالَوْا تعالَوْا ارتفعوا فوق طينيّتكم ارتفعوا فوق تلك الحمأة من أجل أن تتلاحم الأرواح بعضها ببعض.

علم مصطلح الحديث وما يتعلّق به من العلم الآخر الذي هو توأمه علم الجرح والتعديل, جعل لنا ربّنا تبارك وتعالى هذا العلم خاصّا بنا نحن, نحن المسلمين ليس لأحد على ظهر الأرض علم مثل هذا العلم يتحصّل عليه وكتبهم المقدّسة ليست أسانيدها بمتصلة بمن قالها ممن يزعمون أنّه قالها من أنبيائهم وتعجّب وأما نحن فأخبار مُجّاننا وفسّاقنا ومغنّياتنا وقياننا وقيناتنا كلّ هؤلاء أخبارهم مرويّة بالإسناد فإذا نظرت في كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصفهاني فسوف تجد أنّ الرّجل يروي بالإسناد إلى فلانة المغنّية في مجلس فلان الأمير إلى فلان المغني المخنّث الذي وقع منه كذا إلى فلان من الفسّاق إلى فلان من العشّاق يروون بالأسانيد أمثال تلك الأخبار التي ليست لها قيمة بل إنّها في

بعضها مما يقام عليه الحدّ حدّ القتل حينا وحدّ الزنا أحيانا. في كتاب الأغاني الكبير مرويّة بالإسناد كتب فسّاقنا وكتب مغنينا ومغنّياتنا مرويّة بالأسانيد إلى من قالها مع ما فيها من الفسق وأمّا هؤلاء فكتبهم المقدّسة ليست واصلة إلى من يدّعون أنّه قالها والإسناد إليها مقطوع وأقرب من قال ممن ينسب إلى قائله بينه وبين النبيّ الذي يزعم أنّه قد قال ما قال سبعون عام سبعون عاما بعد أن رُفع النبيّ الذي يزعمون أنّه قال بعد أن رفع بسبعين عاما بعد أن رفعه الله إليه بسبعين عاما ولد الرّجل صاحب ما يسمّى بكتابهم المقدّس إذا كنّا كذلك وهم كذلك فلماذا نحن كذلك وهم كذلك؟ إذا كنّا كذلك وهم كذلك فلماذا نحن كذلك وهم كذلك؟ همم ضعيفة وميّتة نسأل الله تبارك وتعالى أن يرحمنا وإيّاكم وأن يهدينا وإيّاكم وأن يعلّمنا وإيّاكم وأن ينصر أمّتنا على القوم المجرمين وأن ينصر أمّتنا على القوم الفاسقين وأن يهيّأ لأمّتنا أمر رشد يعزّ فيه أهل الطّاعة و يذلّ فيه أهل المعصية ويُقضى فيه بكتاب الله و سنّة نبيّه.